

- الشعر -

(تمة ما في الاجزاء السابقة)

وقد قدّمنا ان الاغراض الشعرية على ضربين احدهما ما يُقصد به العمل في القلب والتلاعب بمحركات النفس وانفعالاتها فيتحرى فيه ذكر الاحوال المهيجة للحزن او الفرح او الغضب او الأنفة او غير ذلك وهو الاصل في غرض الشعر كما سبق الايماء اليه . والثاني ما يُنحى فيه الى اعمال الذهن والتأثير على القوى المدركة بما يخيّل لها من الصور المبتدعة والتماثيل المزخرفة وهذا الضرب اقرب الى مذاهب البلاغة منه الى اسلوب الشعر وعليه غالب شعر العرب لولوعهم بالاغراب وبناء لغتهم على التفنن في طرق البلاغة على ما هو معروف من مذهبهم في سائر كلامهم . والامثلة من هذا اشهر من ان تذكر وقد مرّ منها في الاجزاء الماضية ما يغني عن الاطالة هنا . واما المعاني الوجدانية فالوارد منها في شعرهم عزيزٌ نادر لا يحضرنا منه الا امثلة قليلة نورد بعضها في هذا الموضع بمنزلة نموذج يظهر به الفرق بين المذهبين . فمن ذلك قصيدة مالك بن الرب التميمي يرثي نفسه وكان قد خرج مع سعيد بن عفان لما ولي خراسان فلما كان في بعض الطريق اراد ان يلبس خفة فاذا بافقى فيه فلسعته فلما احس بالموت انشأ هذه القصيدة ومنها يقول

تقدت من يبكي عليّ فلم اجد سوى السيف والرحم الردينيّ باكيا
وأشقرّ خنذيذٍ يجرّ عنانه الى الماء لم يترك له الموت ساقيا
يريد بالاشقرّ مهره والخنذيذ الجسيم . ومنها

ياخذ بيدها ويرشد مسعاها ولما رقد كل من في القصر وخيم السكون على ارجائه نهضت فكثبت بضعة اسطر لوالديها تظهر لهما فيها ما ركبا من الخطاء والقسوة في اصرارهما على اكرامها وختمتها بوداعها ثم تركت الكتاب على سريرها وحملت كل ما كان في غرقتها من الحلى والحجارة الكريمة والنقود وانسلت الى غرفة الخدم لتوقظ روبرتو فلم تجده في سريرته فوقفت تفكر هنيهة ثم خرجت الى الحديقة وقد اضطربت افكارها ولم تدري كيف تقول معنى غيابه وبينا خطت بعض خطواتٍ شعرت بصوتٍ تحت نافذة غرقتها فاقتربت فاذا روبرتو جاثٍ على التراب وهو يتهل الى الله ان يلهمه ماذا ينبغي ان يفعل فلم تلبث ان جثت بجانبه ولما اتمّ صلاته اسرّت اليه ما عزمت ان تفعله ثم قادته بيده الى باب الحديقة السريّ فخرجا من هناك وانطلقا تحت ستر الظلام ولما فصلا عن المنزل استأجرا لهما عربة فركباها وقصدا بلدة اخرى على مسافة عدة ساعات فبلغاها عند طلوع الفجر ثم صرفا العربة وتوجها الى ديرٍ هناك فدخلا وطلبت روزا مواجهة رئيسه فلما وافى قصّت عليه ما كان من حديثها وحديث والديها ولما وثق بصحة كلامها لم يبطئ ان اتمّ عقد روبرتو عليها ثم ادخلا الى غرفة فاقاما بياض نهارهما في الدير وعند المساء البسهما ملابس الرهبان واركبهما على دابّتين من دواب الدير وصرفهما مزدوين بركته ودعائه . فخرجا يجذّان السير وقد عزموا على مزايلة تلك الولاية باسرها والتقدم الى حدود فرنسا وكانا يسيران في الليل وينزلان في النهار الى ان مضى عليهما اربعة ايام . وفي مساء اليوم الخامس عاودا المسير وكانت في طريقهما غابة كثيفة فدخلا في تلك الغابة

ويا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
أقيما عليّ اليوم او بعض ليلة
وقوما اذا ما استلّ روجي فهيئنا
وخطأ باطراف الاسنة مضجعي
خطأ اي شقاً والمضجع القبر وهي قصيدة طويلة . ومن ذلك قول ابي العتاهية
سيعرض عن ذكرني وتنسى مودتي
اذا ما انقضت غني من الدهر مدتي
وينسب الى الرئيس ابي علي بن سيناء

لقد طفت في تلك المعاهد كلها
فلم أر الا واضعاً كف حائر
وقريب منه قول عبدالله بن طاهر وقد مات اخوه سليمان فوقف على تربته
وفيها اهله وانشد

النفس ترقى بحزن في تراقبها
لبقعة ما رأت عيني كقاتلها
ومن ذلك قول بعضهم

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن
وان هي اعطتك اللبان فانها
وان حلفت لا ينقض النأي عهدا
الشجي ما يترض في الحلق من عظم ونحوه . والنأي البعد . ومخضوب
البنان كناية عن المرأة . والرأس في هذا النوع قول البسوس بنت منقذ

التميمة خالة جسّاس بن مرة حين عقر كليب ناقة جارها سعد الجرني في
القصة المشهورة فلما رأت الناقة وهي تعجّ والسهم في ضرعها صكت وجهها
وصاحت وا ذلّاه واجوار جسّاس واجوار همّام واجوار مرة واجوار بني
ذهل ثم انشدت

لعمري لو اصبحت في دار منقذ
ولكنني اصبحت في دار غربة
لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعد لا تعرر بنفسك وارتحل
ودونك أذواذي اليك فاني
محاذرة ان يندروا ببنياتي

اذواذي نيّاتي

وسرّ نحو جرّم ان جرماً اعزّة
ولاتك فينا لاهياً بين نسوات
فلما انشدت هذه الايات اوغرت صدور القوم ثم نشبت الحرب بين قبيلتي
بكر وتغلب فدامت فيما يقال اربعين سنة والعرب تسمي اياتها هذه بالموثبات
ويكثر في شعر العرب التكلم في ضروب الآداب ووصف محاسن
الاخلاق والحض على الحلم والمجاملة والتمسك باسباب الحزم الى ما شاكل
ذلك مما جمعه صاحب كتاب الحماسة تحت عنوان الادب والامثلة من هذا
اكثر من ان تحصى نذكر منها قول السموأل من قصيدته المشهورة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فكل رداً يرتديه جميل
فليس الى حسن الثناء سبيل
وقول معن بن اوس

اذا انت لم تنصف اخاك وجدته
على طرف المهجران ان كان يعقل

ويركب حدَّ السيف من ان تضيمه
وكنْتُ اذا ما صاحبُ رام ظنَّتي
قلبت له ظهر المجن فلم أدم
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تك
وقول حاتم الطائي

اذا كنت رباً للقلوص فلا تدع
أنحها فأردفه فاب حملتكما
وما انا بالساعي بفضل زمامها
القلوص الناقة الثنية والإرداف ان تركبه خلفك والعقاب مصدر عاقب
وهو ان يركب احد الرجلين مرةً والآخر مرةً . وقوله ايضاً

ولا تطرق الجارات من بعد هجمة
ولا يلطم ابن العم وسط بيوتنا
وقول المؤمل بن أميل المحاربي

وكم من لئيم ودَّ أني شتمته
ولكف عن شتم اللئيم تكررماً
ومن احسن ما جاء لهم في ذلك قول زهير بن ابي سلمى من معلقته المشهورة
وهي الايات التي عدَّ لاجلها اشعر العرب

ومن لا يصانع في امور كثيرة
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
ومن هاب اسباب المنايا يئلنه
ولو رام اسباب السماء بسلم

ومن يجعل المعروف في غير اهله
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
ومن يترب يحسب عدواً صديقه
ومهما تكن عند امرئ من خلية
وكائن ترى من صامت لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وكل ذلك مع شرف اغراضه ونباهة معانيه وما فيه من البلاغة والحسن
غير مندمج في شرط الشعر لان غالبه من الحقائق المحضة وانما هو من باب
الخطابة وفائدته تهذيب الاخلاق وتنبية الفطن وحفظ تلك الاقوال للتمثل
بها في وقت الحاجة دون مشاغلة النفس بمثل ما ذكر من الصور الخيالية .
ولهذا المعنى اخرج بعضهم كلام المتنبي وأبي العلاء المعري من الشعر لانهما
كثيراً ما ينحوان فيه الحكمة وضرب المثل وكلاهما ليس في مذهب الشعر
ولا من اغراضه

ويلحق بذلك نظم الوقائع التاريخية وما يتصل بها على طريق السرد
المقصود به مجرد ذكر تلك الوقائع كما فعل الشيخ ابراهيم الحلبي في نظم السيرة
النبوية وابن جابر الاندلسي في نظم فضائل الصحابة العشرة وغير ذلك مما
نظمت فيه الحوادث بصورتها الواردة في كتب التاريخ . وانما يحسن مثل
هذا اذا أفرغ في قالب شعري بان يضم اليه ما يزين به من المعاني المختصرة
او المستنبطة من سياق الوقائع بحيث يكون فيه شغل للمخيلة يدخله في
حد الشعر وذلك كما فعل الشيخ محمد البوصيري مثلاً في بردته وهمزته

المشهورتين اللتين جلي بهما على شعر كل شاعر ولا سيما الحمزية منهما مع
تضمنها التاريخ النبوي بكل حوادثه وملحقاته . ويتصل بما ذكر مثل
قول النابغة يتندر الى النعمان حين وشي به اليه

اتاك امرؤ مستبطن لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع

اتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع

اتاك بقول لم اكن لأقوله ولو كبأت في ساعدي الجوامع

قوله له من عدو الخ اي له شافع من عدو مثله والشافع هنا من شفعت
الشيء اي صيرته شفعاً وهو الزوج . والهلهل السخيف . والجوامع جمع
جامعة وهي قيد تجمع به اليدان الى العنق . والتكبير التقيد واران ولو كبل
ساعداي بالجوامع فقلب الكلام للضرورة . وهذا النظم كما تراه ليس فيه
شيء من ديباجة الشعر ولا عليه طلاوة سائر كلام هذا الشاعر وذلك لانه
حكاية واقعة اضطر الى سردها لا تحتل شيئاً من التخيل وانظر اين هذا
من قوله بعد ذلك

لكلفتي ذنب امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو رافع

فان كنت لاذوا الضغن غني مكذب ولا حلفي على البراءة نافع

ولا انا مأمون بشيء اقوله وانت بامر لا محالة واقع

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المتأى عنك واسع

العر قروح تخرج باعناق الفصلا ن قيل فاذا ارادوا ان يعالجوه كوا بغيراً

صحيحاً فيراً صاحب العر وهو من خرافات العرب وقيل غير ذلك . ومثله

ما ذكره في قصة زرقاء اليمامة المشهورة حيث قال

احكم بحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد التمد

قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبه فالفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مئة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد

فان هذا النظم اشبه بارجيز العالوم منه بكلام الشعراء فضلاً عما فيه من
الحشو واللغو في شطره الاخير وقد جاء بين هذه الايات بيت اورده بعد
البيت الاول تراه كأنه من نسيج آخر وهو قوله

يخذه جانباً نيق وتنبه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

يخفه اي يحيط به والهاء للحام . والنيق الجبل العالي . وقوله مثل الزجاجة
نت لمخدوف اي تتبعه عيناً مثل الزجاجة يريد عين الزرقاء المذكورة
يصفها بالصفاء والسلامة من الداء حتى انها لم ترمد ولم تكحل لعلته

على ان هذه الاقاصيص والوقائع وان خلت عن غرض الشعر فان فيها
فائدة علمية لا تنكر لان الشعر اسهل استظهاراً وابعد عن التحريف والفساد

لتقيده بالوزن والقافية وعنه أخذ معظم تواريخ العرب ووقائعهم واسبابهم
وعاداتهم وعباداتهم وسائر شؤونهم ولولاه لم يصل الينا ما تقف منه على

حقيقة ما كانوا عليه . ومثل ذلك القصائد العلمية من الارجيز وغيرها
كمفردات النحو والبيان والمنطق والطب وغيرها وكالقصائد التي ضبطت

فيها بعض الفاظ اللغة وقيودها وغير ذلك من القوائد والنظم في ذلك كله
اكثر من ان يحصى والنرض من جميعه واحد وهو ضبط هذه الاشياء

في الفاظ مقدرة لا تقبل النقص ولا الزيادة . وهذا كما لا يخفى من النظم الذي

له قلب الشعر دون أسلوبه ومعانيه وهو الذي ينطبق عليه تعريف العرويين فيما سبق كما ان بعض الشعر مما تقدم في اوائل هذه المقالة له من الشعر أسلوبه ومعانيه دون قلبه فهما على طرفي نقيض ولكل منهما موضع لا يصلح له الآخر

وقد اطلنا في هذا البحث بما لعل المزيد عليه يؤدي الى ملل المطالع فتقف منه عند هذا القدر وقد بقي في كل ما ذكر كلام طويل لو شئنا ان نوفي حقاً لاقتضى مجلداً برأسه فاقصرنا منه على ذكر المهم مما لم نجد فيه بياناً لغيرنا والله سبحانه اعلم بالصواب وهو ولي الهداية

السل الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

لا بد لي قبل البحث في هذا الموضوع من ان ألم بطرف من الكلام عن المكروبات عموماً وعلاقتها بالامراض خصوصاً فأقول انه قد تبين عند اهل البحث ان في العالم المنظور عالماً غير منظور هو عالم المكروب وهذا المكروب منه ما هو نافع ومنه ما هو ضار فالنافع منه ما يعيش على جثث الحيوانات الميتة والنباتات والاعشاب اليابسة فيحدث فيها الاختمار والفساد ويحللها الى العناصر البسيطة التي تركب منها بحيث تصير صالحة لغذاء ونماء حيوانات ونباتات اخرى . وهكذا تتعاقب الحياة والموت والتركيب والتحليل وتتم حلقة نظام الحياة ويلزم فيها الدور الى ما شاء الله من الازمان ولولا ذلك لفقد ما في الارض من الغذاء وانقرض

النبات والحيوان عن وجه البسيطة . واما الضار منه فهو النوع الذي يعيش حياً على الاجسام الحية فيغتذي منها ويسبب الادواء والموت اما بمبرزاته السامة او باتلافه ما به قوام الحياة . وقد تبين ايضاً ان في جسم الحيوان حويصلات وكريات شبيهة بهذا المكروب فاذا التقى الفريقان في جسم حيوان ما حصل بينهما قتال شديد وحرب عوان يدعوها اليها تنازع البقاء فان كانت الحرب بينهما سجالاً راوح الحيوان بين ابلال وانتكاس وان عقد النصر لاحدهما فُضي على الآخر بالهلاك والموت . ومعلوم ان جسم الانسان ليس الا مجموع هذه الحويصلات والكريات فان خرجت من معترك تنازع البقاء سليمة كان هو سليماً وان دارت عليها دوائر الحرب واهلكتها هلك هو ايضاً وما الداء الذي نحن بصدد الان الا نزاع من هذا القبيل . فاذا قد تبين ذلك نقول

ان السل الرئوي او التدرن الرئوي هو مرض تتصلب فيه بعض الانسجة الرئوية ثم تحول حولاً جينياً ثم تحل وتلين وتخرج بالسعال نفثاً عن طريق المجاري الهوائية فينشأ عن ذلك كهوف في الرئتين واندثار في الانسجة وانحطاط في البنية وحتى وضعف وهزال وغير ذلك من الاعراض المعهودة في هذا الداء ويعقب ذلك في غالب الاحيان الموت اما بسبب عدم كفاية ما يبق سليماً من الانسجة الرئوية لتنقية الدم واتمام هذه الوظيفة المهمة او بسبب الحمى والضعف الملازمين هذا الداء او بسبب انتشار العلة في كثير من اقسام الجسم اما مكروبه فقطر من نوع الراجبيات يرى بالمجاهر المعظمة ممشوق